

المحاضرة 01:

اللسانيات النفسية

مدخل مفهومي.

الهدف الخاص:	أن يعرف الطالب اللسانيات النفسية مصطلحا ومفهوما ومنهجاً ونشأة وتطوراً.
الأهداف الإجرائية:	1- أن يبين كيف ساهم عديد من المختصين في نشأة اللسانيات النفسية.
	2- أن يسمي المنهج الذي درس وفقه بعض المختصين اللغة، وأن يبين مرتكزاته.

تمهيد:

تعدّ علاقة الشخص باللغة أكثر الأمور دهشة وتعقيداً، منذ الفترات الأولى لاكتسابها وتعلمها، إلى غاية إتقانها، كما أنها واحدة من القضايا التي يختص بها الإنسان بالنظر للكائنات الأخرى غير الإنسانية. فهي ذات طابع مميز جداً، في ذاتها وفي علاقتها بصاحبها، بكونها منجزاً تفردياً وعظيماً متميزاً للإنسان، رغم تعدد اللغات كما هو ظاهر للعيان اليوم كما أشارت الدراسات هذه القضية التي نود دراستها وبيانها، في هذه المحاضرة، من خلال ما يأتي:

1- النشأة والتطور

تعد اللسانيات النفسية [علم اللغة النفسي] (Psycholinguistics/que) أحد أهم فروع اللسانيات التطبيقية (Applied Linguistics)؛ والذي من اهتماماته دراسة اللغة واكتسابها واستعمالها وفهمها. كما يعدّ أيضاً من الموضوعات اللسانية المهمة جداً.

- ففي أوائل القرن التاسع عشر الميلادي ظهر المصطلح التقليدي لهذه العلاقة، المعروف بعلم نفس اللغة، عند بعض العلماء من أمثال هيرمان بول (Hermann Paul) وهايمان ستاينثال (Heyman Steinthal) ومورتز لازروس (Mortitz Lazarus)، أما العصيلي فيذهب إلى أن هذا التخصص قد مرّ بعدة مراحل، تلخص فيما يأتي:

- أن الإشارة الأولى إلى أهمية المسائل النفسية في دراسة اللغة قد ظهرت على يد (فيلهلم فونت) [ويليم فند] (*)

(بالألمانية: Wilhelm Wundt) المؤسس الأول لهذا العلم بما يتوافق ومفاهيم علم النفس

- بيد أن ظهور التزاوج بين علم النفس واللسانيات (علم اللغة) كان فعلياً على يد بروس سكينر وليونارد بلومفيلد في أواسط القرن العشرين (1950) حيث اعتبر سكينر (Skinner) أن اكتساب اللغة سلوك إنساني آلي أساسه "مثير واستجابة".

- ثم تأتي جهود كل من أسغود (Osgood) وسيبك (Saypec) في تأليف كتاب "اللسانيات النفسية (علم اللغة النفسي): مسح للنظرية ومشكلات البحث" عام 1954 م، وهو الظهور الأول للعلم تحت هذا المسمى.

(*) -فيلهلم ماكسيميليان فونت، بالألمانية (Wilhelm Wundt: 1832 /08 /31– 1920 /08 /31) طبيب وعالم فيزيائي وفيلسوف وأستاذ، يُعدّ أحد مؤسسي علم النفس الحديث، بل أب علم النفس التجريبي. وأول شخص يطلق على نفسه عالم نفسي حيث ميز بين علم النفس كعلم منفصلاً عن المجالات الأخرى (الفلسفة والبيولوجيا)

-وفي الأخير انفصل هذا العلم عن علم النفس، وارتبط كلياً باللسانيات (علم اللغة) باعتباره أن أغلب مسأله لغوية، والملاحظ أن ذلك قد تم ذلك على يد تشومسكي أثناء نقده للنظريات التي قام عليها العلم (السلوكية/ البيولوجية) وظهور النظرية الفطرية المفسرة لاكتساب اللغة. مهد كل ذلك لأن يصبح لهذا العلم نظرياته وعلماءه المتخصصون وأبحاثه. لكن للدكتور جاسم علي جاسم رأي آخر في بحث له بعنوان "علم اللغة النفسي عند قدامى اللغويين العرب" يخلص إلى أن العلماء العرب القدامى ناقشوا موضوعات علم اللغة النفسي بشكل دقيق، وكانت آراؤهم مؤثرة جداً في نظريات علم اللغة النفسي الحديث بشكل عام والبنية العميقة والسطحية بشكل خاص؛ والتي تدل بشكل واضح على تأثر تشومسكي Chomsky بنظرية النظم عند الجرجاني؛ بطريقة غير مباشرة، وذلك عن طريق الترجمة.

ثم أورد علي جاسم في بحثه أن علم اللغة النفسي يعالج موضوعات عديدة ومهمة؛ منها: الفكر وكلام ابن خلدون ثم أورد تأثر تشومسكي بالمدرسة الفلسفية العقلانية التي كان رائدها ديكرت والذي بدوره تأثر بأفكار ابن رشد وفي توقيف اللغة واصطلاحها ذكر جاسم اهتمام العلماء العرب بهذا الموضوع منهم الزمخشري في تفسيره وغيره كثير واكتساب اللغة ونظرياتها حيث أورد اهتمام العلماء العرب في ذلك منهم الجاحظ، حيث يقول: "والميم والباء أول ما يتهبأ في أفواه الأطفال، كقولهم: ماما، وبابا؛ لأنهما خارجان من عمل اللسان، وإنما يظهران بالتقاء الشفتين". ثم تكلم عن البنية العميقة والسطحية حيث أورد فيها تأصيل الجرجاني⁽¹⁾ لهذه الفكرة في نظرية النظم، وغير ذلك من الموضوعات التي تطرق لها جاسم علي جاسم حيث أثبت قدم تاريخ علم النفس اللغوي وأن من أسس له هم علماء العرب، أي أن ظهور هذا العلم اللسانيات النفسية (علم اللغة النفسي) تحت هذا التصنيف والمسمى (من حيث المصطلح) هو علم حديث حسب ما أشار إليه العصيلي وموضوعات هذا العلم (من حيث المفهوم) قديمة بقدم العلماء العرب الذين استشهد د. جاسم بما ورد في كتبهم وأثبتته بشكل علمي وموثق. (*)

2- من حيث المصطلح:

القراءة لمصطلح اللسانيات النفسية يفيد أنه يتكون من ثلاث كلمات: اللغة، اللسانيات، علم النفس.

أ- اللغة (language)

موضوع مركب لاتصاله بعدة علوم، فله علاقة بعدة: بعلم الطبيعة من خلال الأصوات، وبعلم وظائف الأعضاء، لأن الأصوات التي تصدر عن الشخص مصدرها في الأصل عضلات معينة تدركها فيما بعد الأذن، وبعلم النفس لأن تلك الحركات العضلية وإصدار صوت معين يتميز في حقيقة الأمر بدلالات نفسية وفكرية، أي لها علاقة بعقل الإنسان ونفسيته في أبعادهما الاجتماعية والثقافية والدينية. من هنا يحتم علينا السياق الانطلاق من تعريف اللغة تذكيراً للفائدة: كما يلي:

1- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1988، ص: 255.
*- للمزيد: قارن مع خاتمة بحث علم اللغة النفسي عند قدامى اللغويين العرب. جاسم علي جاسم. مجلة العربية للناطقين بغيرها، ع: 07، السنة 06، 2009م، ص 29-95. و: جاسم علي جاسم، تأثير الخليل بن أحمد الفراهيدي والجرجاني في نظرية تشومسكي، مجلة التراث العربي بدمشق، العدد 116، السنة 29، 2009م، ص: 69-82. وجاسم علي جاسم، وجاسم، زيدان علي. نظرية التقدير عند النحاة العرب والمسلمين وأثرها في نحاة الغرب المعاصرين تشومسكي مجدد النحو العربي، مجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القصيم، المجلد الثالث، العدد الأول، 2010م، ص: 1-18.

لغة معنى عام ويقصد به جميع الأدوات التي توظف في التواصل للتفاهم بين الناس أو حتى بين كائنات حية أخرى، وبالتالي تكون حركة اليد للتحية ولغيرها لغة، وإيماء الرأس في اتجاهات مختلفة في مواقف مختلفة، لغة، حيث تعدّ هذه الإشارات لغة بمعناها العام حيث أنها عبارة عن إشارات تؤدي إلى فهم معنى ما، فهي بالتالي تخدم نفس الأغراض، التي تسعى الألفاظ إلى تحقيقها.

أما اللغة بمعناها الخاص فتشير إلى الصور اللفظية المعروفة كما تتكون من كلمات وجمل وقواعد ومعنى... الخ، وهي مظهر من مظاهر النمو العقلي والتحضر الإنساني كما أنها وسيلة من وسائل التفكير والتذكر والتخيل. فاللغة هي تلك المجموعة المعينة من الرموز التي تساعد على التواصل الفكري بين أفراد المجتمع الواحد. وتتضمن المهارات اللغوية والقدرة على الكلام والكتابة وفهم الرموز الموجودة في لغة الجماعة التي ينتهي إليها الفرد.

ب- علم النفس:

يعرف علم النفس بأنه العلم الذي يدرس سلوك الإنسان، كما يعرف أيضا بالعلم الذي يهتم بدراسة العمليات العقلية للإنسان، لأن هذه العمليات العقلية اللغة باعتبارها من أعقد العمليات العقلية، مما يبين أهمية اللغة بالنسبة لعلم النفس، فعن طريق اللغة يصل المختص في علم النفس إلى خبايا فكر وسلوك الإنسان.

ج- اللسانيات

أما اللسانيات فهي الدراسة العلمية الموضوعية للسان البشري، وقد يسمى علم اللغة. ولتي تدرس اللغة على أنها بنية مغلقة. (البنوية التي جاء بها دي سوسير)

العلاقة بين اللسانيات (علم اللغة) وعلم النفس: تتدخل أمور عدّة في ضبط هذه العلاقة، حيث تتحدد هذه العلاقة بالنظر لطبيعة اللغة باعتبارها أولا: أحد مظاهر السلوك الإنساني، وأعقد العمليات العقلية. ومن جهة ثانية: هي الموضوع الرئيس الذي تصب عليه الدراسات اللسانية؛ أما علم النفس فيعتمد على التمرين عكس علم اللسانيات (علم اللغة) الذي يعتمد الوصف.

3- من حيث المنهج:

- فمن المهم هنا أن نلاحظ اختلاف المجالات، وبالتالي اختلاف المنهج كما يلي:

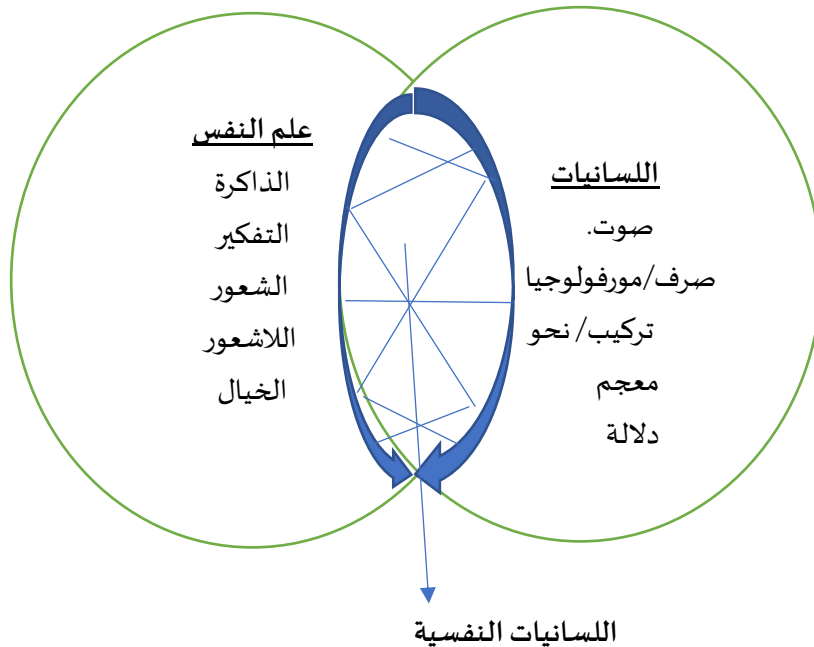
-إذا قلنا لسانيات نفسية (أو علم اللغة النفسي) فالموضوع لسانياتي والمنهج علم النفس، والعكس إذا قلنا علم النفس اللغوي (النفسيات اللسانية) فالموضوع النفسيات والمنهج لساني (علم اللسانيات)- وإذن فعلماء النفس يبحثون عن القوانين التي تفسر سلوك الإنسان باستخدام المناهج التجريبية.

أما إذا كان الموضوع هو اللغة فسوف نستخدم المنهجية النفسية في دراسة هذه الظاهرة، أي أن علماء اللغة يهتمون بدراسة العبارات اللغوية المنطوقة والمكتوبة بمختلف مستوياتها (صوتي صرفي تركيب معجمي دلالي) والمنهجية المستخدمة في دراسة هذه الظاهرة اللغوية هي منهجية نفسية.

النتيجة :

يهتم النفسيات اللغوية "علم النفس اللغوي" (la psychologie du langage) بدراسة السلوكات اللغوية في إطار التوظيف النفسي العام للفرد. فإذا كان اللساني يقوم بوصف وتفسير الآلية المعقدة للغة. فاللساني النفسي يقوم بتحليل وتفسير التوظيف اللفظي للفرد في سياق نفسي اجتماعي محدد.

- وبالمحصلة أن اللسانيات النفسية هي فرع يتوسط اللسانيات وعلم النفس حيث يهتم بدراسة العمليات النفسية التي تتدخل في اكتساب اللغة واستخدامها، فالإشكالية تكون مستمدة من علم النفس أكثر منها من اللسانيات، ولتوضيح ذلك نلاحظ المخطط الآتي:



[العلم الذي تدرس العمليات الذهنية التي تحدث أثناء استخدام الانسان للغة نتاجا وفهما وتوصيلا وكيفية اكتسابه للغة]

فإذن اللسانيات (علم اللغة): تدرس اللغة بجميع مستوياتها كظاهرة باعتماد الوصف (ال ملاحظة، وتحليل..) أي دراسة اللغة منفردة (لذاتها) لتوصلنا هذه الدراسة إلى قوانين عامة تتحكم في هذه الظاهرة (اللغة)، وتطبق عليها. وعلم النفس: يدرس القوانين التي تتحكم في سلوك الفرد دراسة أيضا وصفية (الملاحظة والتجريب) ولكنها تعتمد التجريب (التكرار)، وهنا أيضا توصلنا هذه الدراسة إلى قوانين عامة تفسر سلوكيات الإنسان المختلفة. أما اللسانيات النفسية (نقاط الالتقاء بين العلمين): أي في التقاطع بين الشكليين نلاحظ أن المتخصص يقوم في مجال اللسانيات النفسية (psycholinguistique) بمقابلة العلمين في كيفية تأثير الجانبين في بعضهما، أي:

- كيف تؤثر اللسانيات على علم النفس.

-كيف يؤثر علم النفس على اللسانيات؟

- وكيف يؤثر سلوك الفرد وبنيته المختلفة على اللغة؟

-وكيف تؤثر اللغة من خلال بنيتها على سلوك الفرد؟

أي أثر دلالات اللغة وأفكارها من خلال الثقافة، الدين، العادات والتقاليد على لغة الفرد .

4-أهداف اللسانيات النفسية (علم اللغة النفسي):

يذكر العصيلي أن أهم أهداف علم اللغة النفسي هي الإجابة عن السؤال التالي:

- كيف يكتسب الإنسان اللغة

-وكيف يستعملها؟

ويتفرع عن هذا السؤال أسئلة أخرى، يسعى علم اللغة النفسي إلى الإجابة عنها؛ مثل:

-كيف يفهم الإنسان الكلام وكيف ينتجه؟

وما وظيفة القواعد العقلية في العمليات التواصلية؟

وما الآليات العصبية التي تتحكم في ذلك؟

وما المشكلات التي تؤثر في اكتساب اللغة وفهمها واستعمالها؟

الخاتمة:

كل ما سبق ذكره يوصلنا الى الخاتمة والتي تحتوي أهم النتائج لما سبق ذكره وهو أننا نستفيد من دراستنا للسانيات النفسية لمعرفة دورها العملي الكبير والذي يتمثل في استثمار معارفها من أجل تطبيقها أثناء اكتساب وتعليم الطفل للغة
بمراجعة:

- الأسس النفسية للمتعلمين عند تعليم وتعلم اللغة.

- الدافعية عند وضع الأهداف.

- الميول والحاجات عند وضع المحتوى.

- نظريات التعلم في اختيار طرق التدريس وتوظيفها.

- الإثارة في توظيف الوسائل التعليمية